استرابون يتحدث عن
حملة أيليوس جالوس على بلاد العرب

للدكتور / محمد عبودى ابراهيم
أستاذ الدراسات اليونانية والرومانية المساعد

استرابون يتحدث عن

حملة أيليوس جالوس على بلاد العرب [1]

تناولنا في بحث سابق [2] ما كتبه الجغرافي الاغريقي استرابون عن بلاد العرب ، وركزنا فيه على القسم الذي أعتمد فيه كاتبنا كلية على ماكتبه أسلافه من مؤلفي الاغريق وبخاصة اراتوستيس وأرتميدوروس وأجاثار خيديس وذكرنا في حينه أنه على الرغم من دقة ملاحظات المؤلف ومن التناسق الذي اتسم به في كل ماكتبه وخصوصا في الجزء المخصص في جغرافيته لوصف مصر والمصريين ، نجد وصفه لبلاد العرب وأهلها يعوزه هذا التنسيق وذلك الترتيب ، ويرجع عدم الترتيب هنا ، على الارجح في رأينا ، الى اعتماد كاتبنا على ما كتبه أسلافه من بني جلدته من الاغريق الذين كتبوا في مراحل زمنية مختلفة، وكذلك على التقارير الرسمية المتعلقة بحملة صديقه أيليوس جالوس الوالي الروماني في مصر (26-25 B.C) على جنوب بلاد العرب ، المعروفة آنذاك بالعربية السعيدة أو المزدهرة أو الميمونة [3] . وهناك سبب آخر جعل من وصف استرابون

(١) بدأت هذه الحملة اما في عام ٢٥ ق.م أو عام ٢٤ ق.م حسب رأي
Richard le Baron & Franc. Albright Bowen. Jr,Archaeologeal Discoveries in South Arabia. Vol II.P.38.

(٢) بحث قدم أمام المؤتمر الثالث للدراسات العربية اليونانية Helleno- Arabica المنعقد في مدينة أثينا باليونان يوليو ١٩٨٨.

(٣) لقب اليونان جنوب بلاد العرب (اليمن حاليا) Arabia Eudaimon ومعناها بلاد العرب السعيدة أو اليمونة ، أو المزدهرة .

لبلاد العرب ينقصه الترتيب والتنسيق، ذلك أن المؤلف كما هو واضح لم يرافق الحملة المذكورة [٤] وأدلتنا على ذلك كثيرة، فاسترابون لايخبرنا بصراحته المعهودة بأنه زار تلك البقاع كما حدث عندما حدثنا عن مصر والمصريين [٥] كذلك نجد استرابون يعتمد اعتمادا كليا على كتابات أسلافه وعلى تقارير حملة أيليوس جاللوس على بلاد العرب بينما لايغفل ذلك فى وصفه المفصل والدقيق لمصر وسكانها.

فى هذا البحث سنركز - كما وعدنا فى المقال السابق المشار اليه على المعلومات التي استقاها استرابون بشكل رئيسى من التقارير الرسمية التى صدرت عن حملة أيليوس جاللوس على جنوب بلاد العرب ، وهى الحملة التى تمت مع بداية قيام الامبراطورية الرومانية وفى أوائل عهد مؤسس هذه الامبراطورية اكتافيانوس الملقب أوغسطس أى المبجل [Octavianus Augustus]

وبلاد العرب عامة وجنوبها بوجه خاص كان باستمرار ومنذ أقدم العصور مثالا للثراء الوفير والغنى الجم أو هكذا أشيع عنها بين الاقدمين ، وقد أدت هذه الشهرة الى خلق الاطماع فيها واثارة الرغبة فى الاستحواذ على ثرواتها من قبل القوى الكبرى المتصارعة فى العالم القديم آنذاك.

هذا الرأى يؤيده أيضا فى كتابه Nigel Groom. Frankincense and Myrrh (Longman, London and New York, 1981, P 73)

(٤) الكتاب السابع عشر من جغرافية استرابون.

وقد ظهر صدى هذا الغنى وذاك الثراء فى الكتب السماوية. ففى القرآن الكريم نجد طائر الهدهد يخاطب سيدنا سليمان [٦] عليه السلام والذى عرف عنه أن يعرف لغة الطير - فيقول [٧] " فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين، انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، ألايسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون ". وفى مكان آخر يقول تعالى [٨] " لقد كان لسبأ فى مسكنهم أية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور"

وعندما غزا الاسكندر الاكبر المقدونى الشرق ابتداء من عام ٣٣٤ ق.م حاول هو الآخر أن يغزو شبه الجزيرة العربية نظرا لأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية حتى قيل[٩] أنه فكر فى جعل عاصمة ملكه فيها .

---

(٦) يرجع علماء التاريخ والاديان أن عهد الملك النبى سليمان عليه السلام كان فى القرن العاشر قبل الميلاد (أنظر: الديانة العربية قبل الاسلام لمؤلفه د. محمد بيومى مهران ص ٢٢).

(٧) القرآن الكريم ، سورة النمل من آية ٢٢ حتى آية ٢٥

(٨) القرآن الكريم ، سورة سبأ ، الآية ١٥ .

(٩) أنظر استرابون ، الجغرافيا ١٦ ، ٤ ، ٢٧ ، فارن أريانوس حياة الاسكندر الكتاب ٧ ، ١٩ .

ويؤكد الجغرافى أجاثارخيديس [١٠] فى كتابه عن البحر الاحمر[١١] أنه لاتوجد أمة أكثر ثراء من السبئيين وأهل جرهة ، الذين كانوا يتعاملون فى كل شيء يتصل بالتجارة بين آسية وأوربية .

ويقول المؤرخ ديودوروس الصقلى فى هذا الصدد [١٢] "،تفوق قبيلة أو قوم السبئيين ليست فقط على ما جاورهم من عرب بل أيضا على جميع الشعوب الاخرى فى الثراء والمفاخر الاخرى".

أما الجغرافى استرابون ، موضوعنا فى هذا البحث ، فانه يصف ثراء بلاد العرب فى أكثر من موضع فى مؤلفه . ففى الكتاب الاول ، بعد أن يقرر أنه فى أيام الشاعر هوميروس (نظم شعره فى حوالى القرنين التاسع أو الثامن قبل الميلاد) لم تكن بلاد العرب غنيه [١٣]

---

(١٠) أزدهر أجاثار خيديس فى القرن الثانى قبل الميلاد . ونقل عنه استرابون الكثير.

(١١) K. Mueller, Geographici Graeci Minores (Paris, 1882) Chap.10.

(١٢) ديودوروس الصقلى (ازدهر فى منتصف القرن الاول قبل الميلاد)، المكتبة التاريخية ، الكتاب الثالث ، فصل ٤٧ .

(١٣) الواقع أن هذا الكلام يتناقض مع ما جاء ذكره فى القرآن الكريم عن ثراء قوم سبأ فى وقت حكم النبى الملك سليمان بن داود عليهما السلام وهو ما سبق الاشارة اليه ، وهو سابق أو معاصر لتاريخ هوميروس، والارجح فى رأيى أن اليونان لم تكن لهم دراية آنذاك ببلاد العرب وهى ابعد بلاد العالم المتحضر كما يقول هيرودوت (الكتاب الثالث الفصل ١٠٧).

وبالتالى لم تكن مشهورة ، وهذا ما يفسر عدم معرفته بها معرفة جيدة .

يقول استرابون[١٤] : " أما الآن(يقصد فى عصر استرابون) من المؤكد، أضحى العرب ميسورى الحال وحتى أثرياء، لأن تجارتهم واسعة ووافرة، لكن من غير المحتمل أن الوضع كان كذلك فى أيام هوميروس . وفيما يتصل بالتجارة فى الطيوب، فان التاجر أو الحمال (المشتغل بعملية نقل الطيوب) قد يصل الى نفس درجة الثراء من التجارة أو من نقل هذه الطيوب. وفى مكان آخر يتحدث استرابون [١٥] وهو ينقل عن سلفه أرتميدوروس فيقول : " ومن نقل هذه التوابل والطيوب أضحى السبئيون وأهل جرهه اغنى الناس قاطبة ، وامتلكوا أعظم المعدات المصنوعة من الذهب" . وفى فقرة ثالثة يبدأ استرابون وصفه لمجريات حمله صديقه أيليوس جاللوس على جنوب شبه الجزيرة العربية بقوله[١٦] : "اتضحت كثير من الملامح الخاصة لبلاد العرب نتيجه للحملة القريبة العهد التى جردها الرومان على بلاد العرب ، تلك الحملة التى تمت فى زمنى (أى زمن استرابون فى حوالى ٢٥ ق.م) بقيادة أيليوس جاللوس".

Πολλὰ δὲ καὶ ἡ τῶν Ῥωμαίων ἐπὶ τοὺς Ἄραβας στρατεία νεωστὶ γενηθεῖσα ἐφ' ἡμῶν, ὧν ἡγεμὼν ἦν Αἴλιος Γάλλος, διδάσκει τῶν τῆς χώρας ἰδιωμάτων.

---

(١٤) استرابون ١ - ٢ - ٣٢.

(١٥) استرابون : ١٦ - ٤ - ١٩ .

(١٦) نص المؤلف : ١٦ - ٤ - ٢٢.

مما سبق ذكره يتضح من كلام استرابون أن هذه الحملة أضافت الى معلومات الباحثين والعلماء آنذاك نتيجة لما تجمع لديهم من تقارير عن هذه الحملة لكنها على غير المتوقع كانت اضافات طفيفة كما قلنا فى حديث سابق (١٧) .

يستطرد بعد ذلك كاتبنا معددا الاسباب والدوافع التى أدت الى شن الحملة المذكورة . وهو حديث يظهر صارخة استرابون المعهودة - فيقول(١٨)" فقد أرسله جاللوس) القيصر أوغسطس لاكتشاف القبائل والاماكن ، ليس فقط فى بلاد العرب ، بل أيضا فى أثيوبية (١٩) ، حيث لاحظ قيصر أن بلاد ساكنى الكهوف (Troglodytes) وهم سكان الساحل الشرقى للسودان وأرتريه والصومال) المتاخمة لمصر تقترب من بلاد العرب ، ولذلك أن الخليج العربى (البحر الأحمر بمفهومه الضيق)، الذى يفصل العرب عن ساكنى الكهوف، ضيق للغاية. بناء عليه اختمر فى ذهنه هدف كسب العرب الى جانبه (سلما) أو اخضاعهم (بالقوة المسلحة). وهناك اعتبار آخر وهو الفكرة التى ذاعت (٢٠) طوال الزمن

---

(١٧) قارن ايضا . Bunbury, A History of Ancient Geography, Vol .II P . 320.

(١٨)استرابون نفس المكان السابق .

(١٩) المقصود بأثيوبية فى كتابات اليونان والرومان تلك المنطقة الواقعة جنوب مصر وحتى تنزانيه ،والاثيوبيون يعنى الوجوه السمراء البنية التى لوحتها الشمس وهى تقابل بلاد السودان بمفهومها الواسع عند العرب الاقدمين.

(٢٠) قارن ما قاله هيرودوت وأجاثار خيديس وأراتيدوروس وديودوروس الصقلى فى هذا الخصوص فيما ورد أعلاه .

من أنهم قوم أغنياء جدا . وأنهم كانوا يبيعون الطيوب وأنفس الاحجار مقابل الذهب والفضة، ولكنهم كانوا لا ينفقون أى شىء مما حصلوا عليه من الاجانب ، لأنه (أى أغسطس) توقع اما أن يتعامل مع أصدقاء أغنياء (عن طريق الحالفه) أو أن يسيطر (عن طريق الحرب) على أعداء أغنياء وشجعه على ذلك أيضا توقع المساعدة من الانباط ، لانهم كانوا على صلات صداقة به ووعدوه بالتعاون معه بكل وسيلة .

τοῦτον ὁ ἔπεμψεν ὁ Σεβαστὸς Καῖσαρ διαπειρασόμενον τῶν ἐθνῶν καὶ τῶν τόπων τούτων τε καὶ τῶν Αἰθιοπικῶν, ὁρῶν τήν τε Τρωγλοδυτικὴν τὴν προσεχῆ τῇ Αἰγύπτῳ γειτονεύουσαν τούτοις, καὶ τὸν Ἀράβιον κόλπον στενὸν ὄντα τελέως τὸν διείργοντα ἀπὸ τῶν Τρωγλοδυτῶν τοὺς Ἄραβας· προσοικειοῦσθαι δὴ διενοήθη τούτους ἢ καταστρέφεσθαι. ἦν δέ τι καὶ τὸ πολυχρημάτους ἀκούειν ἐκ παντὸς χρόνου, πρὸς ἄργυρον καὶ χρυσὸν τὰ ἰρώματα διατιθεμένους καὶ τὴν πολυτελεστάτην λιθίαν, ἀναλίσκοντας τῶν λαμβανομένων τοῖς ἔξω μηδέν· ἢ γὰρ φίλοις ἤλπιζε πλουσίοις χρήσεσθαι ἢ ἐχθρῶν κρατήσειν πλουσίων. ἐπῆρε δ' αὐτὸν καὶ ἡ παρὰ τῶν Ναβαταίων ἐλπίς, φίλων ὄντων καὶ συμπράξειν ἅπανθ' ὑπισχνουμένων.

لاستكشاف ومعرفة الشعوب والقبائل وطبيعة سواحل البحر الاحمر وهى بالتالى وسيلة وغاية لتأمين الطريق التجارى البحرى مع شرق أفريقية

وبلادالعرب والهند التى سنلاحظ أن التجارة معها ستزداد وتنشط فى عصر الامبراطورية الرومانية [٢١] . وثانى السببين لشن الحملة هو أن الرومان وفى مقدمتهم الامبراطور أوغسطس بالذات قد تأثروا بما قرأوه وبما سمعوه عن ثراء جنوب بلاد العرب التي أطلقوا عليها باستمرار بلاد العرب السعيدة أو المزدهرة [٢٢] . بسبب ثرائها فى الطيوب والبخور والمعادن النفسية ،من تجارتهم مع البلاد الاجنبية فى الشرق والغرب. ولذلك عقد الرومان العزم على الاستحواذ على ثروة تلك البلاد بأية وسيلة سلما أو حربا . وقد أعتمدوا فى تحقيق مآربهم على قوتهم الذاتية الى جانب توقعهم تلقى المساعدة من أصدقائهم عرب الشمال ؛ وهم الانباط الذين كانوا على علاقات تحالف مع الرومان [٢٣] .

كان اعتماد الرومان على توقع المساعدة المجردة من عرب الانباط لهم ضد بنى جلدتهم عرب الجنوب أول خطأ جسيم وقعوا فيه . فقد فاتهم

---

(٢١) قارن بلينيوس الاكبر : التاريخ الطبيعى الكتاب السادس ، فصل ٢٦ فقرة ١٠١، قارن كذلك Bunbury المرجع السابق ، ج ٢ فصل ٢٧، استرابون ص ٣١٩ .

(٢٢) لقب اليونان جنوب بلاد العرب (اليمن حاليا) Arabia Eudaimon ثم ترجمها الرومان Aabia Felix ومعناها بلاد العرب السعيدة أو المبسورة والمزدهرة اقتصاديا .

(٢٣) نلاحظ هنا أن الرومان كانوا حتى هذه اللحظة لم يتمكنوا من السيطرة على الانباط، بل كان الانباط على علاقات تحالف وصداقة مع الرومان، وأنهم لم ينضموا الى الامبراطورية الرومانية الا فى وقت متأخر وذلك فى أوائل القرن الثانى الميلادى . =

أن عرب الشمال هم أخوة لعرب الجنوب ، وبالتالى فمن المؤكد - كما يتضح بشكل جلي مما يقوله استرابون بعد ذلك - ألاّ يسلم الانباط أشقاءهم عرب اليمن الى الاجانب وهم الرومان . فسرعان ما تكشفت الحقائق أمام قائد الحملة أيليوس جالوس ، وأنه بدلا من مد يد المساعدة للرومان فى انجاح حملتهم، استطاع الوزير العربى النبطى سولايوس(٢٤) Syllaios أن يضللهم وأن يجعلهم يتكبدون خسائر فادحة . يقول استرابون فى هذا الصدد بناءاً على هذه الاعتبارات بدأ جالوس حملته ، لكنه وقع ضحية لخديعة من قبل مساعدة النبطى سولايوس ، الذى على الرغم من أنه كان قد وعد بارشادهم فى زحفهم ويمدهم بكل احتياجاتهم وبمعاونتهم، تصرف بطريقه غادرة فى كل الأمور، فلم يشر عليهم بسلوك الطريق السليم المحاذى للساحل ولا بالدرب الآمن عبر البر ، مضللا أياهم عبر أصقاع لا تحوى طرقا البتة أو عبر مسالك متعرجة وخلال بقاع خالية

Pierre Grimal and others, Hellenism and the rise of Rome, (انظر =
P. 290,
cf. also Nigel Groom, op.cit., pp.2o2,2o3).

(٢٤) نظرا لعجمة الاغريق وعدم قدرتهم على نطق الاسماء العربية نطقا صحيحا فاننا اخترنا - كما اختار غيرنا - فى معرفة النطق السليم لاسم سولايوسSyllaios فقد ذكره أحد المراجع الاوربية الحديثة على أنه شولاعى Pierre Grimal (Shyllay) نفس المصدر السابق ص ٢٩٥، وسماه لطفى عبد الوهاب يحيى (العرب فى العصور القديمة ص٣٦٤) "الصلاء" أما كاتب هذه السطور فيميل الى القول بأن هذا الاسم اما أن يكون "الصولة" أو "شليح" أو "صويلح" أو "الصل" وكلها أسماء عربية موجودة فى البلاد العربية.

من كل شيء ، أو عبر شواطيء صخرية تفتقر الى وجود الموانيء أو خلال مياه ضحلة أو مملوءة بصخور قابعة تحت الماء، وخاصة وأنه فى أماكن من هذا القبيل كانت حركة المد وكذلك حركة الجزر سبب أشد المحن " (٢٥).

السبب الأول اذن وراء فشل الحملة الرومانية على بلاد اليمن يعود الى اعتماد الرومان على ارشاد العرب المتمثل فى الوزير البنطى سولايوس لهم ، وهنا لم يتم بالطريق الصحيح والسليم كما يذكر استرابون صراحة . أما السبب الثانى فيعزوه استرابون لجهل صديقه قائد الحملة ايليوس جاللوس بطبيعة البلاد التى سيغزوها . ويوضح الكاتب هذا عندما يقول (٢٦) "الخطأ الاول الذى وقع فيه جاللوس هو أنه بنى سفنا طويلة Μακραῖς ای سفنا حربية (٢٧) .حيث لم تكن هناك حرب بحرية وقتذاك أو حتى لم تكن متوقعة، لان العرب ليسوا محاربين ممتازين حتى على البر، بل بائعون (متنقلون) وتجار، ناهيك عن الحرب فى البحر (فهم يجهلونها)(٢٨) . لكن جاللوس لم يبن أقل من ثمانين سفينة، من

---

(٢٥) استرابون ١٦ ، ٤ ، ٢٣ .(٢٦) نفس المرجع السابق .

(٢٧) السفن الطويلة Μακραῖς هى ترجمة اللاتينية للكلمتين naves longae التى تعنى السفن الحربية وليست سفنا طويلة بالمعنى الحرفى للكلمتين .

(٢٨) لا يتفق ديودوروس الصقلى الذى كتب عام ٦٠ ق.م، مع استرابون (٢٥ق.م) فى وصفه للعرب بأنهم قوم يجهلون الحرب على البر وفى البحر بل يصرح (المكتبة التاريخية ٢ - ١) بأن بلاد العرب كانت زاخرة بالرجال الشجعان ، وبأن العرب قوم يعشقون الحرية =

تلك الانواع الثنائية والثلاثية[٢٩]، وقوارب خفيفة عند ميناء كليوبترس (أو هيرونبوليس وهي مدينة السويس حاليا) القريبة من القناة القديمة[٣٠] التي تمتد من النيل، لكنه عندما أيقن أنه خدع تماما، بنى مائة وثلاثين سفينة من سفن النقل (σκευοφόρα) أبحر على ظهورها وبصحبته عشرة آلاف جندي من الشاة مكونين من الرومان في مصر، وكذلك من حلفاء الرومان، الذين كان من بينهم خمسمائة من اليهود، وألف رجل من (عرب) الانباط تحت قيادة الوزير سولايوس وبعد محن ومصاعب جمة وصل بعد أربعة عشر يوما الى ليوكى كومى (القرية البيضاء - الحمراء حاليا)، في أرض الانباط، وهي ميناء ضخم، على الرغم من أنه فقد كثيرا من سفنه، حتى أن بعض هذه السفن فقدت بمن عليها من بحارة وكل شيء فيها بسبب صعوبة الملاحة [١] في القسم الشمالي من البحر الاحمر) وليس بسبب أي عدو وبالرغم من استرابون يتهم الوالي الروماني ايليوس جاللوس قائد الحملة بأنه ارتكب خطأ

= ولا يقبلون الخضوع تحت أي ظرف من الظروف لحاكم أجنبي . وفي مكان آخر يقول (نفس المؤلف ٢ - ٥٤) أن العرب كانوا يحاربون من على ظهور جمالهم وكل جمل كان يحمل فوق ظهره رجلين يجلسان ظهرا إلى ظهر لمحاربة الاعداء القادمين من الامام والمهاجمين من الخلف.

(٢٩) السفن القديمة أنواع منها المكون من طابق واحد من المجدفين ومنها ثنائية وثلاثية الطبقات، والثلاثية أسرعها جميعا، وهي التي طورتها أثينا ابان حرب الاغريق مع الفرس في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد، وكان لهذا التطوير أثر بالغ على هزيمة الفرس

(٣٠) يتضح من كلام استرابون هذا أن هذه القناة لم يعد لها وجود في عصره والا لذكرها صراحة ولكانت سفن الحملة قد استخدمتها في حالة الحاجة الى تعزيزات من الاسكندرية أو روما مثلا

جسيما عندما وضع ثقته فى الوزير النبطى سولايوس الا أنه وبحكم صداقته لهذا القائد يحاول تبرئته من سوء التقدير من ناحية وبجهله بطبيعة البلاد التى كان يقصد غزوها من جهة أخرى ونراه ينحى باللائمه على الوزير النبطى سولايوس الذى يتهمه بالغدر والخيانة والتآمر وسوء القصد فى هذا الصدد : كان السبب فى ذلك (أى فى الخسائر التى لحقت بالجيش الرومانى) غدر سولايوس، الذى قال أنه لاتوجد طريق (أخرى) يسلكها الجيش الى ليوكى لومى برا من البتراء الى هذا المكان (ليوكى كومى) فى أمان وسهولة، وبأعداد هائلة من الرجال والجمال لدرجة لايختلفون فيها بأى حال من الاحوال عن الجيش (٣١).

ويعلل استرابون نجاح خطة الوزير سولايوس فى الايقاع بالقائد الرومانى أيليوس جاللوس بتضليله وخداعه بسببين : أولهما هو أن الملك النبطى عبادة ترك زمام أمور الدولة بما فيها المسائل العسكرية فى يد وزيره سولايوس ، وثانيهما نتج عن دهاء سولايوس وتفوقه على أيليوس جاللوس فى النواحى الاستراتيجية والعسكرية وكل شىء . فى هذا الصدد يقول استرابون (٣٢).

---

(٣١) يشير استرابون الى استخدام هذا الطريق فى مكان آخر من مؤلفه (١٦ - ٤ - ٢٤) انظر كذلك Ptolemaic Alexandria; Peter Fraser, Vol. II P.176.
كما يشير القران الكريم الى هذا الطريق فى سورة قريش ورقمها ١٠٦،وكان النبى (صلعم) يسافر الى بلاد الشام سالكا نفس الطريق ابان عمله فى التجارة نيابة عن السيدة خديجة رضى الله عنها.

(٣٢) استرابون : ١٦ - ٤ - ٢٤

" مر هذا الامر (أى خداع سولايوس لجاللوس) لان الملك عبادة لم يكن يولى اهتماما كثيرا للشئون العامة ، خصوصا للنواحى العسكرية (وهذا مسلك عام لجميع ملوك العرب) ، ولانه ترك كل شيء فى يدى سولايوس، ولأن سولايوس تغلب بوسيلة غادرة على جاللوس فى الناحية الاستراتيجية فى كل شيء.

يحق لنا أن نسأل هنا عما يعنيه استرابون عندما يذكر أن الملك عبادة شأنه فى ذلك شأن كل الملوك العرب، لم يهتموا بالشئون العامة بما فيها النواحي العسكرية. أيعنى هذا القول أن هؤلاء الملوك كانوا يهتمون فقط بمصالحهم الخاصة وأمور حياتهم الذاتية تاركين شئون الدولة لوزرائهم وعمالهم ؟ أم أنهم كانوا ملوكا ديموقراطيين يملكون ولا يحكمون مثل ملوك الدول اليموقراطية فى العصور الحديثة ؟ فى رأى كاتب هذا البحث يبدو الاحتمال الثانى أكثر رجحانا خصوصا وأن استرابون نفسه يمتدح[٣٣] ملوك الانباط ، ويثنى على روحهم الديموقراطية وتواضعهم الجم ، وخضوعهم للمحاسبة أمام مجالسهم وجمعياتهم الشعبية.

ويطلعنا استرابون على معلومة فى غاية الاهمية والاثارة تتعلق بالهدف الذى رسمه سولايوس لنفسه عندما اشترك فى حملة أيليوس جاللوس فيقول [٣٤] : "كان سولايوس يهدف ، على ما أعتقد (والكلام على لسان استرابون)، الى استطلاع البلاد بمساعدة الرومان بهدف تدمير

(٣٣) استرابون ، ١٦ - ٤ - ٢٦ .

(٣٤) استرابون ، ١٦ - ٤ - ٢٤ .

بعض مدنها وقبائلها ، ثم ينصب نفسه سيدا على الجميع ، بعد أن يكون قد قضى على الرومان بسبب الجوع والارهاق والامراض وكل المصائب التى دبرها سولايوس للغدر بهم ".

كان سولايوس اذن رائدا للوحدة العربية، أى أنه سبق الى المناداة بتوحيد شبه الجزيرة العربية التى بذلت محاولات عديدة لتحقيقها(٣٥) حتى قيض الله لها أن تتحقق بعد ظهور الاسلام وانتشاره فى طول البلاد وعرضها .

يستأنف استرابون حديثه عن سير الحمله بعد أن عانت ما عانت من مخاطر الملاحة فى خليج السويس وعبر القسم الشمالي من البحر الأحمر ، وبعد أن دمر قسم كبير من سفنه بمن فيها من جنود وما بها من عتاد بالاضافة الي ما أصابهم من جوع وارهاق وأمراض.

يقول المؤلف(٣٦) : "على أية حال بقى جاللوس فى ليوكى كومى بعد أن ابتلى جيشه أثناك بمرض الشلل والعرج فى الأرجل وهما مرضان محليان ، يظهر الأول نوعا من الشلل حول الفم بينما يصيب الآخر الارجل بالعرج ، كلاهما ينتج من تناول الماء والاعشاب المحلية . وعلى كل

---

(٣٥) عن المحاولات التى بذلت لتكون ممالك وامارات فى شبه الجزيرة العربية وبالتالى الى قيام وحدة شاملة فى المنطقة قبل الاسلام . أنظر كتاب لطفى عبد الوهاب يحيى: العرب فى العصور القديمة من ص ٣٤٥ الى ص ٣٥٤ .

(٣٦) استرابون : نفس المكان السابق .

الاحوال اضطر جالوس الى قضاء فصلى الصيف والشتاء[٣٧] هناك ، في انتظار المرضى أن يتماثلوا للشفاء ".

ولا يفوت كاتبنا ، الذى عرف عنه دقة الملاحظة أن يسجل هنا[٣٨] حقيقة مهمة تتصل بمدينة وميناء ليوكى كومى كمركز تجارى تتجمع عندها قوافل الجمال المحلة بالطيوب وغيرها من سلع ، ومنها تنقل هذه الاحمال الى البتراء ، حاضرة الانباط ، ومن هناك الى رينوكولورة[٣٩] . وهى Rhinocolura العريش الان) التي تقع في فينيقية بالقرب من مصر ، ثم ينقل من هناك الى الشعوب الاخرى . وهنا يضيف استرابون ملاحظة اخرى فيقول[٤٠] أنه في عهدة (أى في أوائل عصد الحكم الرومانى في مصر) أصبحت البضائع في معظمها تنقل عن طريق النيل الى

(٣٧) يلاحظ هنا أن الكاتب هو جغرافى مدقق يتحدث عن فصلى الصيف والشتاء ولم يذكر فصل الخريف الذى يتوسطهما. هل فطن الكاتب الى ملاحظة أن منطقة البحر الاحمر لاتعرف الفصول الاربعة كما هو الحال في المناطق المعتدلة . بل أن المنطقة المذكورة لا تشهد غير فصل صيفى طويل وفصل شتوى قصير . وهنا ما يدعو كاتب هذه السطور ان استرابون قصده.

(٣٨) استرابون : نفس المكان السابق .

(٣٩) ومعناها مدينة ذوى الانوف المقطوعة. وقد جاءت هذه التسمية كما تقول القصة التى رواها كل من ديودوروس الصقلى : الكتاب الاول فصل٦٠، واسترابون ١٦ - ٢ - ٣١ من أن الملك الاثيوبى (النوبى) شاباكا Shabaka الذى حكم مصر ابان حكم الاسرة النوبية ، كان ينفى اليها ما يقبض عليهم من المجرمين واللصوص بعد جدع أنوفهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم ويكونوا معروفين لدى الآخرين .

(٤٠) استرابون ، نفس المكان السابق .

الاسكندرية، فبعد وصول البضائع الى ليوكى كومى تفرغ (البضائع الواردة) من بلاد العرب والهند (فى سفن تنقلها من ليوكي كومى عبر البحر الاحمر) فى ميناء ميوس هرموس (ميناء أبو شعر القبلى على الساحل المصرى) ، ثم يتم نقلها على ظهور الجمال الى مدينة قفط (Koptos فى وادى النيل) فى منطقة طيبة وهى تقع على قناة (موصلة الى) النيل ومن هناك الى الاسكندرية (عن طريق النيل).

بعد هذا الاستطراد يواصل استرابون وصفه لمسار الحملة داخل بلاد العرب قائلا [٤١] "ومرة أخرى حرك جالوس جيشه من الحمراء وزحف عبر مناطق معينة حتى أن الماء كان يلزم نقله بالجمال بسبب سفالة الأدلاء[٤٢] ، لهذا السبب استغرق السير أياما كثيرة للوصول الى أرض (الملك) الحارث (Aretas)وهو من أقارب الملك عبادة ، فى هذا المكان استقبله الحارث استقبالا وديا وقدم اليه الهدايا، لكن غدر الوزير سولايوس جعل الرحلة عبر ذلك الاقليم صعبة كذلك ، وعلى أية حال ، تم اجتياز المنطقة فى ثلاثين يوما ، وهذه المنطقة لاتنتج سوى الذرة (Zeia) فقط ، وينمو فيها القليل من نخيل البلح ، وتنتج الزبدة الحيوانية بدلا عن الزيت ، (أو السبب فى طول الوقت الذى استغرقته الرحلة عبر هذا الاقليم)، هو لانهم مروا عبر أصقاع تخلوا من الطرق المعهدة

فى الفقرة السابقة نستوقفنا عدة ملاحظات حول كلام الكاتب منها

---

(٤١) استرابون ، نفس المكان السابق.

(٤٢) مرة أخرى يشير الى الوزير سولايوس ورجاله .

جهله بالمنطقة التى مرت بها الحملة الرومانية بعد مغادرتها ليوكى كومى. فهو لايذكر أى مدينة من المدن بل اكتفى بالقول أن المنطقة يحكمها الملك الحارث وهو قريب عبادة ملك البتراء، وهذا يفسر فى رأيى الاستقبال الودى الذى قوبل به جاللوس وصحبه من قبل هذا الأمير ، الذى يحكم منطقة كانت اما مستقله أو أنها كانت تشكل جزءا من مملكة الانباط ، حلفاء الرومان وأصدقاؤهم. شيء آخر نلاحظه هو استمرار استرابون فى هجومه على الوزير سولايوس متهما اياه بالغدر والخيانة المتعمدة لاهداف الرومان الذين وثقوا به واعتمدوا عليه، وهذا التحامل من جهة استرابون على سولايوس منطقى وطبيعى لانه صديق لقائد الحملة ومواطن رومانى. ولكنه من وجهة نظر محايدة موقف متحيز ويبدو هذا التحيز فى تجاهله للوجه الآخر من القضية، وهو ما اعترف به الكاتب صراحة قبل ذلك عندما صرح بأن سولايوس كان يريد توحيد قبائل العرب ومدنهم وقراهم تحت امرته بعد أن يكون قد تم له اخضاعهم بمساعدة الجيش الرومانى وفى نفس الوقت يكون قد تخلص من القسم الأكبر من هذا الجيش بتضليله عبر الطرق الصحراوية الوعرة والخالية من الماء وكل أسباب الحياة.

الملاحظة الثالثة هى أننا لانستطيع أن نكون فكرة واضحة عن منطقة الحارث التى أشار اليها الكاتب. ولا ندرى أن كانت هذه المنطقة هى الحجاز حيث واحة المدينة المنورة (يثرب آنذاك) أو مكة المكرمة حيث يقع وادى فاطمة على مقربة منها وكلها مناطق تجود ببعض المحاصيل الزراعية وبنخيل البلح ويمتهن بعضهم من الثروة الحيوانية، التى يحصل منها السكان على حاجتهم من الزبدة

واستخدامها بديلا عن الزيوت النباتية كما يشير بذلك استرابون.

تواصل الحملة تحركها، فيقول الكاتب[٤٣] "الاقليم التالى الذى عبره جاللوس كان يقطنه قوم من البدو، ودونى حقيقة أمره اقليم صحراوى فى معظمه، وكان يطلق على هذا الاقليم أرارنيه (Ararene)؛ ويحكمه الملك صعب (Sabos) ونى مروره خلال هذه المنطقة عبر جاللوس ، أجزاء خالية من الطرق، وبعد أن قضى خمسين يوما في مسيرته، وصل بعدها الى مدينة نجران".

فى الفقرة السابقة من وصفه يطلعنا استرابون على بعض المعلومات، منها أن المنطقة التى عبرها الجيش الرومانى هذه المرة صحراوية فى معظمها ويسكنها قوم من البدو، ويقول أن اسمها أرارينة ونحن لانستطيع تحديد هذا الاسم بشكل دقيق فلربما كان عرعر أو عرار وكلها أسماء معروفة في شبه الجزيرة العربية كذلك لم يحدثنا استرابون عن ملك تلك المنطقة صعب وموقفه من الحملة، كما هوالحال عندما ذكر أقليم الملك أو الامير الحارث وكيف أنه من أقرباء عبادة ملك البتراء وبالتالى فهو حليف للرومان، أما عن صعب فقد لزم الكاتب الصمت على كل حال يبدو جليا أن المنطقة التى كانت تحت نفوذ صعب لم تكن خاضعة للانباط والا لكان استرابون ذكر ذلك ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو هل كان أقليم ارارنيه الذى يحكمه صعب محايدا فى موقفه من هذه الحملة؟ هنا لانجد اجابة صريحة من الكاتب، لكننا نستطيع الاستنتاج من أن سكوت استرابون عن تبيان موقف صعب أنه (أى صعب) التزم الحياد فعلا،والا فلماذا اذن لم يرحب بتقدم الجيش الرومانى اذا كان مؤيدا كما فعل الحارث أو لماذا لم يتصدى له ويقاومة اذا كان معارضا لزحفه كما فعل عرب الجنوب بعد ذلك ؟

(٤٣) استرابون : نفس المكان السابق.

بعد ذلك ، يخبرنا استرابون "وصل (الجيش) الى مدينة نجران (Negrani) والى اقليم يسود ربوعه السلام ويمتاز بخصوبته، وهنا هرب الملك (يقصد حاكم نجران) وتم الاستيلاء على المدينة فى أول هجوم".

فى نجران اذن، حسب رواية استرابون، اختلف الوضع عنه فى ارابنة منطقة نفوذ صعب، ففى هذه المنطقة الأخيرة لم يعترض الملك سبيل الحملة بينما فى الاولى تحدد بداية الصراع بين عرب الجنوب والغزاة الرومان ، لكن للاسف لم يبذل ملك نجران أية مقومة للغزو بل نجده على عكس ما كان متوقعا منه يتخلى عن قومه ويلوذ بالفرار تاركا مدينته تفتح للغازى أبوابها بدون بذل أدنى مقاومة.

بعد نجران ، على كل حال، يواجه الجيش الرومانى مقاومة حقيقية من أهل الجنوب العربى فى هذا الصدد يقول استرابون [٤٤]"ومن هناك(من نجران)وصل (جالليوس) الى النهر (لم يذكر استرابون اسم هذا النهر) بعد ستة أيام، فى هذا المكان اشتبك البرابرة[٤٥] (يقصد العرب)فى معركة مع الرومان، فسقط منهم حوالى عشرة آلاف قتيل، بينما لم يفقد الرومان غير فردين فقط، لانهم (أى العرب) لم تكون لديهم دراية باستعمال السلاح، لكونهم غير لائقين البتة للحرب، فقد كانوا يستخدمون الاقواس والحراب والسيوف والمقاليع، وأن كان معظمهم يستعمل البلطة، بعد ذلك مباشرة استولى على المدينة المسماة أسكة (Aska) وهى نشق [٤٦] التى كان ملكها قد هجرها،

---

(٤٤) استرابون ، نفس المكان السابق.

(٤٥) تعنى كلمة (Barbaroi) فى اللغة اليونانية القديمة وما يقابلها فى اللغة اللاتينية "Barbari" اولئك الذين يتكلمون بلغة غير مفهومة لهم ،من ثم تعنى الاجانب. وهى تساوى عند العرب كلمة الاعاجم. والكلمة فى الاصل لم تكن تحتمل المعنى السيء الذى اكتسبته بعد ذلك فى اللغات الاوربية الحديثة.

(٤٦) انظر Nigel Groom كذلك Pierre Grimal, op,cit. P.295

ومن هناك زحف صوب مدينة تدعى أثرولة (Athrula) وهى باثل)، وبعد أن سيطر عليها بدون قتال، ترك حامية فيها، وقام بعمل الترتيبات لمؤنة من القمح والتمر استعدادا لمواصلة الزحف، ثم تقدم اتجاه (مدينة مارسيابه Marsiaba أى مأرب) التى تتبع قبيلة (قوم ، عشيرة) ردمان (Rhammanitae) رعايا (الملك) الاعصر أو الاعسر أو العسيرى[٤٧](Iliasaros) عندئذ هاجم أيليوس جالوس المدينة وحاصرها لمدة ستة أيام، لكنه انسحب (منها) نظرا لنقص لديه فى امدادات المياه. لقد كان فى الحقيقة على مسيرة يومين فقط من المنطقة التى تنتج الطيوب (وجهته ومقصده) كما أبلغه أسراة "، ولكنه كان قد قضى ستة أشهر فى زحفه (الى أن وصل أى هذه المنطقة) بسبب فساد الدليل، ولقد عرف أيليوس الحقيقة عندما قفل راجعا، وعندما أبلغ مؤخرا بالمؤامرة (التى حيكت) ضده ، وفى طريق العودة سلك طرقا أخرى (غير التى جاء منها) لانه فى اليوم التاسع(من مغادرته لمأرب) حل بنجران حيث حدثت المعركة".

فى القتال الذى دار بين العرب من جهة والرمان وحلفائهم من جهة أخرى قرب مدينة مأرب يبرز استرابون تفوق الرومان على أعدائهم سواء من ناحية الاعداد الجيد أو التسليح المتطور[٤٨]. أضف الى ذلك أن معظم الحكام العرب عن مواطنيهم فى وقت الشدة كما حدث عندما هرب

---

(٤٧) لديهود تسمية منطقة عسير (والعسيرى) الحالية .op. cit., P.186 الى هذا الرجل.

(٤٨) كان الرومان يتفاخرون بانهم امة محاربة وهم يزعمون بانهم انحدروا من مارس اله الحرب عندهم. والمعروف أن الشعب الرومانى اعتمد منذ بداية تاسيس دولته فى روما على اعداد نفسه للحرب والقتال ومن ثم الغزو والتوسع. وكان جنودهم محترفين يقضون حياتهم فى التدريب الشاق لمواجهة الحرب الحقيقية وهذا سر انتصاراتهم المتكررة وهزيمتهم للشعوب.

ملكا نجران ونشق. وهذا ولاشك أدى الى أضعاف الروح المعنوية للسكان هناك. ومع ذلك يعترف استرابون بأن العرب قاتلوا ببسالة عند نجران وأوقعوا بالرومان بعض الخسائر من جهة أخرى يبدو أن السكان العرب أخذوا فى معظم الاحيان على غرة

هذه الأسباب مجتمعه تعزز رأينا فى أن المعركة بين الطرفين لم تكن متكافئة.

ومع ذلك فانه بالرغم من انتصارات الرومان فى وبالقرب من نجران وفى نشق وباتل الا أنهم فشلوا فى اقتحام مدينة مأرب. وهذا الفشل يعزوه المؤلف الى نقص فى امدادات المياه لدى الرومان وهو غير صحيح الى حد بعيد. فالمنطقة التى تقع فيها مدينة مأرب تعد من أخصب بقاع بلاد العرب وبها ينابيع عديدة وغزيرة المياه (٤٩).لكن استرابون وهو متعاطف مع الرومان بحكم وضعه وصداقته لقائد الحملة - ربما لم يشأ القول أن الرومان وجدوا فى مأرب الصخرة الصلبة التى تحطمت عليها أحلامهم بعد أن صمدت أمام حصارهم ستة أيام. فلو كان لدى الرومان مقدرة حقيقية لما استطاعت هذه المدينة الصمود فى مواجهتهم، ولاستمروا فى زحفهم لبلوغ هدفهم فى الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية الغنية بمنتجاتها من الطيوب والتوابل والبخور والمعادن النفيسة خصوصا وأنهم علموا من أسراهم، كما يشير استرابون ، بأنهم باتوا على مسافة

(٤٩) انظر Nigel Groom, op.cit., P.75

قريبة منها قدرها الكاتب بمسيرة يومين فقط ويعلق استرابون[٥٠] على سبب انسحاب الرومان وتراجعهم عن مواصلة الحملة الى ما عانوه من ويلات فى طريق زحفهم من أمراض خطيرة وأوبئة فتاكة ووعورة فى المسالك وطول الوقت الذى استغرقه زحفهم وهو ما يعزوه الكاتب الى تضليل سولابوس المتعمد لهم. وقد تكشف صحة هذا الادعاء لدى جاللوس فى طريق العودة وقد أبلغ ساعتها بالمؤامرة التي حيكت ضده من هذا الوزير المسئول عن ارشاد الحملة وتدبير وسائل الانتقال لها. فعندما تنبه جاللوس لذلك سلك طرقا مغايرة تماما لتلك التى جاء منها. وقد تأكد للقائد الرومانى صحة المؤامرة النبطية عندما استغرقت رحلة العودة من مأرب الى ميناء الحجر (Egra الوجه حاليا؟) وهى تقع الى الشمال من ليوكى كومى التى بدأ منها الزحف ستين يوما فقط فى حين قضى ستة شهور فى طريق الذهاب.

يقول استرابون عن طريق العودة[٥١]: " عرف (أيليوس) الحقيقة عندما ظل راجعا، وبعد ما أحيط علما مؤخرا بالمؤامرة التى دبرت ضده سلك فى طريق العودة طرقا أخرى ، لانه حل فى اليوم التاسع بنجران ،

---

(٥٠) استرابون - نفس المكان السابق.

(٥١) استرابون - نفس المكان السابق .

حيث نشبت المعركة (أول معركة يخوضها الرومان ضد العرب)، ثم في اليوم الحادي عشر (وصل) الى المنطقة المسماة "الابار السبعة" كما كان يطلق عليها، من كون أنه وجدت في هذا المكان سبعة آبار ، ومن هناك، أخيرا سار خلال منطقة آمنة، فوصل الى قرية شالة (شعلة Chaala)، وكذلك الى قرية أخرى يقال لها مالودة (Malotha) ،وهي تقع على مقربة من نهر، وبعدها سار عبر منطقة صحراوية ، ليس فيها الا مصادر قليلة للمياة . حتى حل في قرية تسمى الحجر. وهي تقع ضمن أراضي عبادة (ملك الانباط) وتطل على البحر (الاحمر) وفي طريق العودة أكمل (أيليوس) رحلته كلها في ستين يوما، في حين أنه قضى في رحلة الذهاب سته أشهر. ومن هناك نقل (بالسفن) جيشه الى ميناء ميوس هرموس (ميناء أبي شعر القبلي على ساحل البحر الاحمر من الجانب المصري) في أحد عشر يوما، وسار برا (بقوافل الجمال) الى قفط (في وادي النيل)، وصل ومعه جميع الذين واتاهم الحظ الكافي للنجاة الى الاسكندرية (عن طريق النيل). أما البقية (من رجاله) فقدهم لافي الحرب ولكن بسبب المرض والارهاق والجوع وسوء الطرق، لانه لم يمت في هذه الحرب سوى سبعة رجال، لهذه الأسباب، أيضا لم تضف هذه الحملة الى حد بعيد الي معرفتنا بتلك المناطق، لكنها مع ذلك أسهمت أسهاما طفيفا في هذه المعلومات. من جهة أخرى نال الرجل الذى كان مسئولا عن هذا الفشل وأعني به سولايوس، عقوبته في روما، حيث على الرغم من تظاهره بالصداقة (لروما) تمت محاكمته وادانته بالاضافة الى صفاقته في

هذا الامر، بمخالفات أخرى، وأعدم بقطع رأسه".

مما سبق نلاحظ أن أبليوس بعدما علم بتآمر سولابيوس عليه لافشال حملته توقف عن استخدامه دليلا له ومرشدا فى طريق العودة مع أن استرابون لم يصرح بذلك ولم يقل لنا أى شيء عن رد فعل جالوس عندما عرف خيانة حليفه النبطي، ولم يتعرض لسولابيوس الا عندما أبلغنا باداناته فى روما واعدامه. فهل قبض أبليوس على سولابيوس فى طريق العودة؟ وأين ومتي؟ الشيء للملاحظة أن استرابون لزم الصمت حيال هذا الموضوع.

الذى يلفت النظر هنا أن نجد أبليوس جالوس يسلك فى طريق الانسحاب طرقا غير تلك التي سلكها فى طريق التقدم صوب الجنوب العربى ، لدرجة أنه اختصر وقت العودة الى الثلث. ففي حين قضى ستة أشهر فى الذهاب استغرقت رحلة الاياب ستين يوما فقط هذا الرغم من أنه تجاوز نقطة البدء (ليوكى كومى) ووصل الى الحجر الى الشمال منها. يلاحظ كذلك أنه لم يواجه أية مقاومة فى طريق العودة ولم يجر أى اتصال لا بالملك الحارث ولا بغيره، فلربما يكون قد تلافى أن يمر على مدن معادية. ونلاحظ أيضا أنه بسبب ما لاقاه من صعوبة فى الملاحة فى القسم الشمالى من البحر الاحمر وفي خليج السويس نراه يعبر البحر الاحمر من الشوق (من الوجه)الى ميناء ميوس هرموس على الساحل المصرى ويقطع المسافة فى أحد عشر يوم، ومن هنا (بقوافل الجمال) عبر الصحراء الشرقية الى مدينة فقط فى منطقة طيبة فى الصعيد الاعلى

بحر ومنها عن طريق قناة ملاحية موصلة الى النيل ثم بركب النيل حتى الاسكندرية ومن هناك الى روما عبر البحر الابيض المتوسط.

لكن لماذا جعل ابليوس عودته من بلاد العرب ميناء الحجر مع أنه كما سبق القول كان أبعد نقطة من ميناء ليوكى كومى حيث ميناء الحجر الى الشمال من ليوكي كومى؟ يمكننا أن نستنتج بسبب ذلك من كلام استرابون الذى أوردناه فى بداية مقالنا هذا،وهوأن أبليوس كان قد تنبه الي خطورة الإمراض المنتشرة انذاك عندما وصل الي ليوكي كومي خصوصا بعد أن عانى منها في بداية الحملة.

وهناك مسالة أخري برزت في كلام اسرابون تتعلق بدور اليهود في تلك الحملة، فقد استعان بهم الرومان وكانوا، كما يقول استرابون، كالانباط حلفاء للرومان، ويتضح أيضا أن اليهود كانوا أشد التصاقا بالرومان وأقرب اليهم من عرب الانباط، ويبدو أن الرومان كانوا يدورهم يفضلونهم عن العرب بدليل ورود ذكرهم في كلام استرابون قبل العرب بالرغم من أن عدد اليهود الذين اشتراكوا في الحملة المذكور بلغ نصف عدد عرب الانباط فيها. فاليهود كانوا قبل الرومان باستمرار يضعون أنفسهم تحت خدمة القوي الكبري المسيطرة علي المنطقة.

فقد فعلوا ذلك مع الفرس والبطالمة السلوقيين(٥٢). والملاحظ أن اليهود ظلوا طوال العصور في اتباع نفس السياسةوهي الالتصاق بالقوي الكبري. فقد فعلوا لك مع الالان وحاولوا نفس الشيء مع الدولة العثمانية لكنهم فشلوا ثم ارتبطوا بفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

نعود مرة أخري لاخبار الحملة الرومانية، فقد لاحظنا فيما سبق أن سير الحملة توقف عند مدينة مأرب عاصمة السبئيين بعدها قفل الرومان عائدين أدراجهم بعد أن صمدت المدينة لحصارهم الذي دام ستة أيام وعز عليهم اقتحامها عنوة. معني ذلك أن الرومان لم تتح لهم الفرصة في دخول بلاد اليمن الحقيقية ومن ثم لم يتمكنوا من معرفة تلك البلاد علي الطبيعة وقد ذكر ذلك صراحة المؤلف كما أشرنا سالفا. والذي أضاف أن الرومان استقوا معلوماتهم عن تلك البلاد من أسراهم العرب.

مما سبق يتضح أن حملة الرومان بقيادة أيليوس جاللوس إلتي

---

(٥٢) كان اليهود مقربين الي الفرس حتي أن مؤسس دولة الفرس الاولي المعروفة بالاخيمنشية قورش الاكبر أعادهم من السبي الي فلسطين واستخدمهم في جيشه وعندما تم غزو مصر في عهد خليفته قمباز(قمبيز) عام ٥٢٥ ق.م كانوا ضمن قواته حتي أنه عثر علي برديات آرامية في جزيرة أسوان (البفانتين) تتعلق بالجنود اليهود الذين كانوا ضمن حامية فارسية هناك. أما في مصر تحت الحكم البطلمي فقد عوامل اليهود كمواطنين من درجة أعلي من أهل البلاد وسمح لهم ببناء المعابد ومجلس الشيوخ (Gerousia) وترجمت التوراة (العهد القديم) الي اليونانية فيما يعرف بالترجمة السبعينية لصالح يهود مصر وتمتعوا بالكثير من المزايا والاعفاء من بعض الضرائب وغيرها ويصدق هذا القول أيضا علي يهود الدولة السلوقية.

وجهوها لاستيلاء علي بلاد العرب الجنوبية منيت بالفشل الذريع ولم تحقق أغراضها المنشودة. وتعود أسباب الفشل الي أسباب وعوامل متعددة منها.

اولا : سوء التخطيط للحملة من جانب الرومان كما أشار بذلك صراحة استرابون ويتمثل ذلك في بناء سفن حربية كبيرة الحجم. بأعداد ضخمة مع أنها لم تكن ضرورية علي الاطلاق نظرا لان الصراع لم يكن في البحر انما على البر.

ثانيا :اقلاع الاسطول الرومانى من عمق خليج السويس فى الشمال ومروره بشمال البحر الاحمر المعروف بصعوبة الملاحة فيه الى حد كبير. وكان بالامكان جعل السفر عن طريق النيل جنوبا وحتى قفط فى صعيد مصر ومن هناك عبر الصحراء الى ميناء ميوسى هرمس (أبو شعر القبلى) على البحر الاحمر ثم الابحار من هناك الى سواحل شبه الجزيرة العربية الغربى.

ثالثا : نزول الجيش الروماني في ميناء ليوكي كومي(الحوراء) العربي النبطي والمنطقة كما يصفها الكاتب موبؤة بالامراض المتوطنة التي فتكت بالعديد من رجال الحملة وقد استفاد الرومان من هذا درسا جعلهم يتفادون هذا الميناء في طريق العودة. وهم منهكين مهزومين- يتعدونه شمالا ويستخلصون ميناء الحجر(الوجه) نقطة انطلاقهم في طريق العودة بحرا الي الشاطيء المصري المقابل عند ميناء ميوس هرموس. وهنا أيضا استفادوا من تجربتهم في طريق الذهاب فتفادوا منطقة الخطر المتمثلة في

صعوبة الملاحة في شمال البحر الاحمر وخليج السويس.

رابعا : اعتماد الرومان في تعزيز قوتهم على الاجانب وعرب الانباط وعلى قيادة وارشاد الوزير العربي النبطي سولايوس، الذي- على حد زعم استرابون- غرر بهم في مسالك ودروب وعرة وغير آمنة، لانه كان يضمر لهم الهلاك والهزيمة، وفي نفس الوقت أراد الاستفادة لنفسه من هذه الحملة. فقد أراد سولايوس- بعد هلاك الرومان- أن يقيم لنفسه مجدا ،ملكا على حساب الرومان الذين وضعوا ثقتهم الكاملة فيه وأعتمدوا عليه. فخطط لتوحيد العرب الذين كان متفرقين في دويلات وقبائل متناحرة كما هو واضح من وصف استرابون لهم. و هذه لعمري فكرة رائدة لاقامة كيان عربي موحد. وقد اتضح جهل الرومان وقائد حملتهم جاللوس بجغرافية بلاد العرب وأحوالها عندما ساروا خلف سولايوس في أرض فقراء وطرق وعرة ومتعرجة وأماكن خالية من المياه وأسباب الحياة.

خامسا : فبالرغم من أن حملة الرومان لم تجد مقاومة كافيةً في المناطق التي جاست خالها الا أنها في المرحلة الاخيرة، ووجهت بأشد المقاومة وأعنفها بدءا من نجران وانتهاء بمدينة مأرب عاصمة السبئيين التي صمدت لحصار الرومان مما اضطرهم لفكه والعودة من حيث أتوا يجرون أذيال الخيبة والفشل الذريع وبذلك لم يتحقق هدفهم الذي جردوا حملتهم من أجله ألا وهو الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية ذات الصيت الواسع في الغنى والثراء والمتحكمة كذلك في طرق التجارة البرية

والبحرية خصوصا الطريق الذي يخترق البحر الاحمر وباب المندب والتي تنتقل عبره البضائع القادمة من بلاد الشرق كالهند وبلاد العرب وشرق أفريقية وغيرها.

ملاحظة أخرى ترتبط بتركيز الكاتب وصفه علي الجانب الغربي لشبه الجزيرة العربية وهو تقليد دأب عليه الكاتب الكلاسيكيين بصفة عامة، فاسترابون كغيره ركز علي منطقتين اثنين من شعوب غرب الجزيرة الا وهما الانباط في الشمال، وقد كانت حكومتهم وقت كتابة استرابون حليفة الرومان. وهو سبب رئيسي جعل حديثه عنهم يتسم بدرجة كبيرة من الدقة والوضوح، هذا الي جانب كونها أقرب المناطق العربية الي ولايات الامبراطورية الرومانية. في حين ظهر في وصف الكاتب لبلاد اليمن عدم توخي الدقة ويرجع ذلك الي عدة أسباب، منها أن معلومات استرابون عن بلاد العرب الجنوبية أستقاها من مصادر مختلفة- لكتاب اغريق سابقين عليه. وأن هذه المصادر كتبت في فترات زمنية متباعدة مما يجعل صورة البلاد وأحوالها تبدو مختلفة ومتناقضة، أضف الي ذلك أن استرابون نفسه- كما أسلفنا- لم يرافق الحملة كما سبق أن أشرنا. كذلك لم يدخل الرومان بلاد العرب الجنوبية بعد أن فشلت حملتهم المذكورة في اقتحام مأرب عاصمة السبئيين. وهذا يفسر قلة المعلومات التي أضافتها الحملة عن هذه المنطقة المهمة من بلاد العرب.

ملاحظة أخري يجدر بنا ذكرها وهي الاسباب التي جعلت الكاتب استرابون يركز علي غرب الجزيرة في حين لم يعر الا الاهتمام القليل

للمناطق الشرقية من شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي الفارسي.

تفسير اهماله لهذه المناطق، في رأيي- يعود الي كون الخليج وشرق شبه الجزيرة بعيدين عن متناول الرومان نظرا لسيطرة دولة الفرثيين (Parthi) علي شمال الخليج، وأن بلاد الرافدين كانت ضمن ممتلكاتهم، ولهذا فقد تركزت اتصالات الامبراطورية الرومانية ببلاد الهند والشرق بصفة عامة في طريق البحر الاحمر ومضيق باب المندب وبحر العرب والمحيط الهندي وأصبح طريق تجارتها هو الطريق الوحيد المار عبر هذه البحار. وهذا يفسر الاسباب والدوافع الكامنة وراء محاولة الرومان السيطرة علي بلاد اليمن التي كانت ولاتزال في هذا الطريق.

ملاحظة أخيرة تتعلق باشتراك قوتين من عرب الانباط واليهود. في هذه المسألة لم يخبرنا الكاتب صراحة عن كيفية انضمامهم الي الحملة المذكورة. فهل التحقوا بها في ميناء ليوكي كومي النبطي؟ أم أن اليهود علي الاقل قدموا مع الحملة من مصر التي كانت تعيش فيها جاليةيهودية كبيرة في ذلك الوقت؟

ملخص القول أن الحملة الرومانية بقيادة ايليوس جالوس علي البلادالعرب فشلت فشلا ذريعا في تحقيق أهدافها للاسباب المتعددة التي ذكرناها، لكنها كما ذكر استرابون، أفادتنا ببعض المعلومات الطفيفة عن بلاد العرب. عن هذه المعلومات التي جمعتها الحملة عن بلاد العرب سنخصص بحثنا الثالث عن استرابون وبلاد العرب ان شاء الله.

د.محمد عبودي ابراهيم

قسم الاثار والدراسات اليونانية ،الرومانية كلية الآداب جامعة الاسكندرية

١ - مصادر البحث

1 - Diodoros siculus, Library of History, L.C.L.

2 - Herodotos, Histories, (L.C.L).

3 - F. Jacoby, Die Fragmente der Griechischen Historiker, Vol. 3.C.

٤ - Strabon, Geography, (L.C.L) BK : XVI .

5 - Theophrastos, Historia plantorum (L.C.L).

٢ - مراجع البحث العربية

د. لطفى عبد الوهاب يحيى : العرب فى العصور القديمة، مراحل حضارى فى تاريخ العرب قبل الاسلام (دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٩).

د. محمد بيومى مهران : الديانة العربية قبل الاسلام . الاسكندرية .

٣ - مراجع البحث الاجنبية

- Bunbury, E.H., A History of Ancient Geography II Vols (Dover - New York, 1959).

- Cary, M. and Haarhoff, T.J., Life and Thought in the Greek and Roman World.

(Methuen. U.P London, 1966).

- Fraser, P., Ptolemaic Alexandria, Vol. I. (Oxford 1972).

- Grimal, Pierre and Others, Hellenism and the Rise & Rome. (Weidenfeld and Nicolson - London 1968).

- Hourani F., Did Roman Commercial Competition Ruin South Arabica, Journal of Near Eastern Studies, ll - 12 - (1952 - 1953) PP. 291 - 295.

- Walton, Brian G. and Higgins William R., The Greek and Roman Worlds, (U.P.of America, 1980).